كلمة الكنيسة الأرثوذكسية
إيمان * فرح * كرازة

المشرة

تصدر عن بطريركيّة أنطاكية وسائر المشرق – السنة السادسة والعشرون – العدد الثاني – ٢٠١٧

القدّيس
ملاتيوس
الأنطاكي

الخطيئة
من نظرة بالاماسية ونظرة عقلانية

البطريرك
ملاتيوس كرمه

عيد الفصح المجيد

البعد النفسي لعاداته وتقاليده

تنمية المواهب عند الشباب – ٢

أضواء على دور المطران ملاتيوس كرمة في ترجمة الكتاب المقدّس إلى اللّغة العربيّة

د. إيلي ضناوي

منذ مطلع القرن السابع عشر، احتلّت مسألة تعريب الكتاب المقدّس ووضْعه بمتناول المسيحيين الشرقيين هامشاً مهمّاً في مشاريع ونشاطات الإرساليات الكاثوليكيّة في بلاد الشام. لعلّ جذور هذا التوجّه، أي وضع الكتاب المقدّس بين أيدي «المؤمنين»، تعود إلى مفاعيل حركة الإصلاح البروتستانتيّة في القرن السادس عشر وما نتج عنها من قولٍ «بالكتاب فقط» أو ما يُعرَف باللاتينية Sola scriptura. مفاد هذه الفكرة التأكيد على أن الكتاب المقدس كلمة الله وأنه يبرهن نفسه بنفسه وأنه واضح للقارئ المنطقي ويكفي وحده لإعطاء العقيدة المسيحية. أدركت الكنيسة الكاثوليكيّة نجاح هذه الدعوة لجعل الكتاب المقدّس وحده في محور العمل التبشيري، لذلك نرى مجمع انتشار الإيمان في روما (Propaganda Fide) يعتمد هذه الوسيلة دون أن يتبنّى بالضّرورة مضمونها. على هذا الأساس جعل المجمع ترجمة الكتاب المقدّس إلى لغات البلدان التي توجّه إليها المُرسَلون في صلب أولويّاته.

في هذا السياق، يرسل مجمع انتشار الإيمان، في أيلول من العام ١٦٢٧ م، نُسَخاً من العهد الجديد باللغة العربيّة، إلى حلب. لم تصل هذه النُسَخ لأن الباخرة التي كانت تنقلها قد غرقت. في العام ١٦٢٨ م، بدأ العمل على طبعةٍ جديدةٍ في باريس عُرِفَت بالطبعة المتعدّدة اللغات (Polyglot)، التي تحتوي ترجمة عربيّة. لم تلقَ هذه الطبعة قبولاً عند المُرسَلين الكاثوليكيين في الشرق. كتب الكاردينال إينغولي مجموعة ملاحظات حولها مُظهِراً عدم ملاءمتها لمسيحيي الشرق بسبب ثمنها الباهظ.

مشروع المطران ملاتيوس كرمة

مقابل هذه المشاريع الكاثوليكيّة، دعا مطران حلب ملاتيوس كرمة إلى إعداد ترجمة عربيّة جديدة للكتاب المقدّس في الشرق بالتعاون من مجمع انتشار الإيمان. لم تصلنا معلومات كثيرة حول انطلاق الفكرة، لكنّ الأرشيف الروماني يحتوي على وثائق مهمّة تسلّط الضوء على مضمون هذا المشروع.

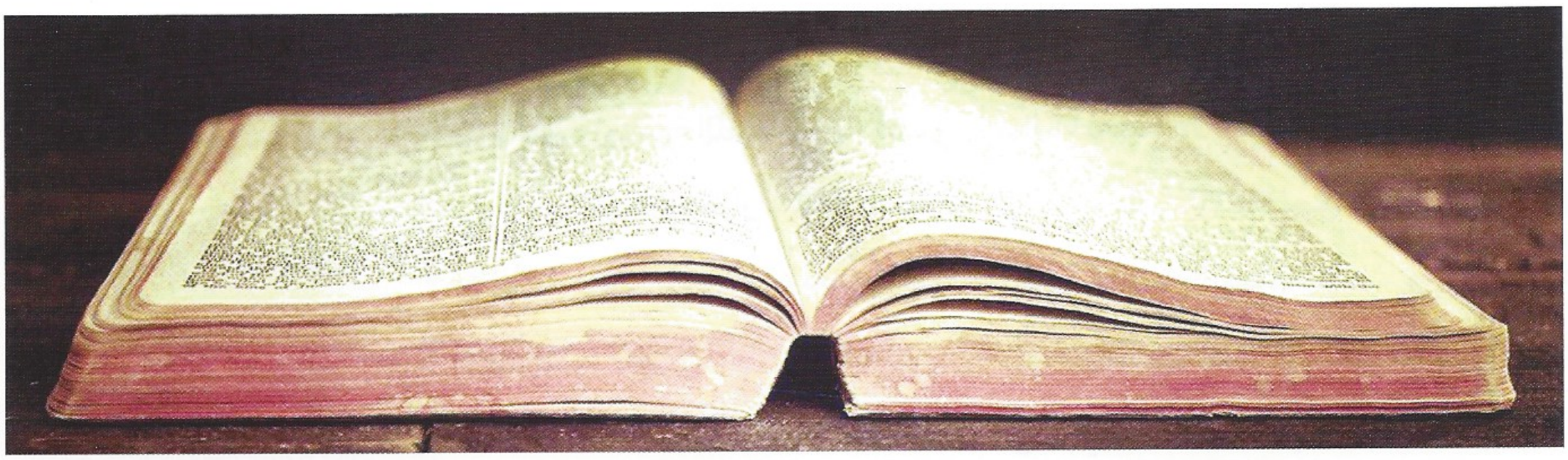

في ١٢ أيار ١٦٢٩ م، أرسل مطران حلب ملاتيوس كرمة رسالةً إلى مجمع انتشار الإيمان في روما يعرض فيها تصوّراً كاملاً لإعداد ترجمة جديدة للكتاب المقدّس. اعتبر ملاتيوس أنّ النقطة الأساس هي جمع الترجمات الشائعة في الشرق والعمل على توحيدها، لذلك، يطلب من الكرادلة مساعدته من خلال إرسال أحدٍ من قِبَلهم يجمع نُسَخ الكتاب المقدّس التي يستخدمها مسيحيّو الشرق. بحسب المطران كرمة، توجد هذه النُسَخ في: طرابلس، بيروت، دمشق، مصر، سيناء وأورشليم. يشير ملاتيوس في هذه الرسالة أيضاً إلى أنّه يمتلك نسخة أُخرى، والمقصود هنا النسخة الحلبيّة. هنا، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ مصطلح نسخة يرد بمعنى version وليس copy وهو بالتالي يشير إلى وجود سبعة تقاليد أو عائلات أو ترجمات عربيّة للكتاب المقدّس معروفة ومُستخدَمة في زمنه.

ركّز ملاتيوس كثيراً على الاختلافات بين العائلات السبعة، واعتبر أنّ سبب الفروقات النصّيّة يعود إلى أن هذه الترجمات لم تحصل عن لغة واحدة إنّما عن لغات متعدّدة هي: العبريّة، السريانيّة، اليونانيّة، الأرمنيّة والقبطيّة. لم يرَ الكرادلة أنّ تنوّع اللّغات هو السبب الوحيد لاختلاف الترجمات، إنّما اعتبروا أنّ الاختلاف قد يحدث لسببين: الأوّل مرتبط بتنوّع العائلات أو التقاليد النصية التي تنتمي إليها النصوص الأصليّة (مثلاً: وَصَلَنا النص اليوناني للكتاب المقدّس في أكثر من تقليد أو عائلة). أمّا السبب الثاني فهو مرتبطٌ بأخطاء النُسَّاخ قبل دخول الطباعة واعتمادها (مثلاً: توجد اختلافات بين النُسَخ اللاتينيّة، مع أنّها تعتمد جميعها على نصّ الفولجاتا أو النّسخة الشّائعة باللّغة اللّاتينية وهي ترجمةٌ تعود إلى نهاية القرن الرّابع وتُنسَب للقدّيس جيروم).

من جهةٍ ثانية، يشير كرمة في هذه الرسالة إلى أنّ الترجمات الحالية لا تخلو من إضافات وتغييرات أَحدثَها «الهراطقة» وبالتالي لا بدّ من تصحيحها «وتطهيرها» من الشوائب. من المرجّح أن كرمة يشير هنا إلى الترجمات المأخوذة عن النصوص السريانيّة والقبطيّة لدى الكنائس اللّاخلقيدونيّة. من المرجّح أيضاً أنّ هذا الكلام قد لقي صدىً إيجابيّاً عند الكرادلة على خلفيّة موقفهم من التعديلات التي أدخلها البروتستانتيون على الترجمات في الغرب.

تندرج فكرة هذا المشروع في إطار مشروعٍ أوسع كان قد أطلقه كرمة ألَا وهو إصلاح ترجمات الكتب الكنسيّة. فكما عَمِلَ على إعادة ترجمة الكتب الطقسيّة وتوحيدها، اعتبر أنّ إنجاز ترجمة جديدة للكتاب المقدّس تندرج ضمن هذا السّياق، بخاصّة أنّ الكتاب يدخل في الاستعمال الليتورجي (الإنجيل الطقسي، كتاب الرسائل، كتاب النبوءات، ...).

اقترح المطران ملاتيوس آليّة العمل الآتية:

- جمْع النُّسَخ المختلفة.

- تشكيل فريق من ستّة أشخاص: كاتبان (واحدٌ لليونانيّة وآخرٌ للعربيّة)، لغويّان (الأوّل يتقن اللّغة اليونانية والثاني ضليعٌ في اللّغة العربيّة)، وشخصان آخران يقارنان الترجمات ويستخرجان الاختلافات.

- مقارنة الترجمات العربيّة ومطابقتها مع النصّين اليوناني واللاتيني.

محاور مشروع كرمة وأبعاده

حدّد ملاتيوس المحاور الرئيسة الآتية لمشروعه:

- أَنْ تصيرَ التَّرجمةُ في الشَّرق، وفي حلب تحديداً:

في الظّاهر، عبّر ملاتيوس عن تخوّفٍ من أن تتكرّر أخطاء الطّباعة كما حصل في النصوص السابقة المطبوعة في روما. حقيقة الأمر أنّه كان يريد لهذا المشروع أن يكون أنطاكيّاً، وأَنْ لا تُشكِّلَ الترجمةُ نقطةَ خِلافٍ مع مواطنيه من المسلمين على مستويين: المستوى الأوّل مرتبط بلغة الترجمة، لذلك نقرأه يكتب إلى الكرادلة قائلاً: «(...) لكن الآن علماء المسلمين الذين في بلادنا يحبون الشرف ويتفاخرون في الكلام المزخرف (...) لمّا نظروا بعض تركيب فيها ما أعجبهم لأنّهم زعموا أنّه غير مرتّب وأيضاً بعض لغته ما هي مقبولة في لسان العربي الفصيح (...)». على المستوى الثاني، كان يحرص على أن تأتي المصطلحات والأفكار اللاهوتيّة بشكلٍ لا يثير حفيظة واعتراض المسلمين.

- أن يقتصر دور مجمع انتشار الإيمان فقط على تمويل المشروع:

أراد كرمة أن يهتمّ المُرسَلون بجمع الترجمات المختلفة، تأمين الكتب اللازمة (قواميس، كتب لغة، ...) وأخيراً دفْع بدل أتعاب العاملين. في الواقع، لم يكن المطران كرمة بحاجة إلى مساعدة مجمع انتشار الإيمان لجمع النُّسَخ الأنطاكيّة (دمشق، طرابلس، بيروت وحلب) بدليل أنّه، على هامش مشاركته في أعمال المجمع الأنطاكي الذي عُقِدَ في رأس بعلبك السنة ١٦٢٨ م، جال على عددٍ من الأديار الأنطاكيّة بحثاً عن نُسَخٍ للكتاب المقدّس ليضمّها إلى مشروع الترجمة. في ١٢ تشرين الثاني من العام ١٦٢٩ م أرسل تقريراً إلى روما يعرض فيه النتائج التي توصّل إليها.

حقيقة الأمر أنّ ملاتيوس كان يريد الوصول إلى الترجمات العربيّة خارج البيئة الكنسيّة الأنطاكيّة، بخاصّة تلك التي انتشرت في الأوساط الفلسطينيّة (دير مار سابا)، الترجمات الشائعة في مصر (ربّما المقصود ترجمة أبناء العسّال، ونستبعد أن يكون قد أشار هنا إلى الترجمات العربيّة من اللغة القبطيّة)، وأخيراً الترجمات القديمة في دير القديسة كاترينا في سيناء. يكون بذلك قد حصر الدّور الكاثوليكي في التمويل من خلال طرحه توزيع المهمّات بين الشركاء.

- اعتماد الأصل اليونانيّ في الترجمة مع إمكانيّة المقارنة مع الترجمة اللاتينية أي الفولجاتا:

في حين كان كرمة يصرّ على اعتماد اللّغة اليونانيّة أساساً للترجمة، كان لروما موقفٌ مختلفٌ نقلته إليه بواسطة شمّاسه ميخائيل، إذ اعتبرتْ أنّ النسخة التي تعتمدها كنيسة روما هي الفولجاتا Vulgata، وبالتّالي لا ضرورة للعودة إلى النسخ أو الترجمات الأُخرى المنتشرة في الشرق. نلحظُ أَنَّ قرار مجمع انتشار الإيمان كان مخالفاً لاقتراح المطران كرمة، ففي حين أراد كرمة استخراج ترجمة منقَّحة من الترجمات العربيّة المعروفة وطباعتها باللغتين اليونانيّة والعربيّة، شاء مجمع انتشار الإيمان اعتمادَ الترجمة اللاتينيّة الشائعة فقط دون العودة إلى الترجمات التي يستخدمها مسيحيّو الشرق.

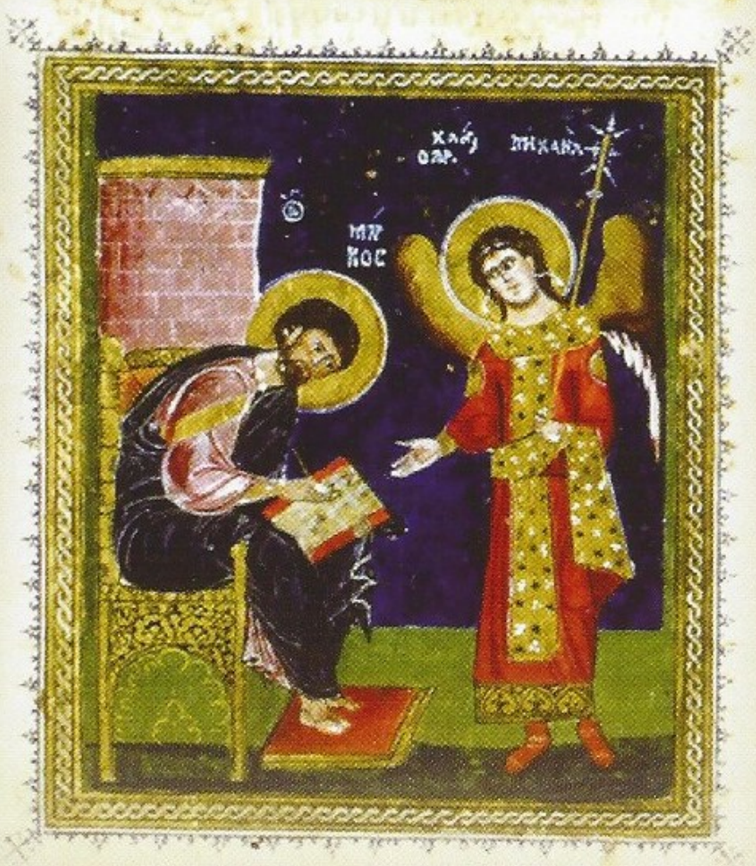

- **طباعة الكتاب في عامودين: يوناني-عربي:**

في ٢٠ شباط من السنة ١٦٣١ م، وصلت روما رسالةٌ من كرمة، موجّهة إلى الكاردينال لودوفيزي، يُعْلِمُه فيها استلامَ الكُتُب المُرسَلَة من مجمع انتشار الإيمان، ويبلغه رضاه عن طبع الكتاب المقدّس باللغة العربيّة في روما. اشترط ملاتيوس أن يكون النصّ في عامودين باللغتين اليونانيّة والعربيّة. يقول: «(...) ونطلب من كرمكم إذا كمل كتاب العتيقة والجديدة [أي العهدين القديم والجديد] تعملوا لكنيستنا واحد حقنين: حقن رومي وحقن عربي (...)». يمكن تفسير موقف ملاتيوس على مستويين: الأوّل مرتبط بموقفه المبدئي من ضرورة اعتماد النصّ اليوناني كأساس للترجمة، تأكيداً لذلك أراد أن يُنشَر النص اليوناني مع ترجمته العربيّة؛ الثاني مرتبط بتعميم فائدة هذه الطّبعة، إذ إنّ استخدام اللغة اليونانيّة كان لا يزال موجوداً في بعض الأوساط الأنطاكيّة.

خاتمة

بناءً على ما تقدّم، وبسبب تباين الآراء بين كرمة ومجمع انتشار الإيمان، قرّرت روما السّير قُدماً في مشروعها. في ٥ كانون الأوّل من السنة ١٦٣١ م قرَّرَ مجمع انتشار الإيمان طباعةَ ترجمة جديدة لكتاب التكوين على أن تكون مطابقة لنص الفولجاتا اللاتينية وأن تُطبع في عامودين: باللاتينية والعربيّة. من المرجّح أن تكون هذه الترجمة قد بدأها في حلب الأب الكبوشي أغاثَنجِلو الذي كان يتقن اللغة العربيّة (بشهادة كرمة) وذلك بمساعدة بعض المسيحيين الحلبيّين. أراد الفاتيكان إشراك كرمة في هذا العمل فطلب إليه إبداء ملاحظاته على ترجمة الإصحاحات الخمسة الأولى من كتاب التكوين.

بنتيجة قرار روما، تضاءلت فرص ملاتيوس في إطلاق مشروعه وانصرف إلى متابعة عمله على ترجمة الكتب الطقسيّة. في نهاية القرن السابع عشر، أَحيا البطريرك الأنطاكي أثناسيوس دبّاس جزءاً من هذا المشروع، إذ استطاع، بمساعدة الكنيسة والحاكم في رومانيا، أن يطبع الأناجيل الأربعة في نسختين: واحدة للاستخدام الليتورجي وأُخرى بحسب الترتيب القانوني. أهميّة مشروع كرمة أنّه المشروع الوحيد الذي دعا إلى ترجمة الكتاب المقدّس كاملاً، في حين أَنجزت مشاريع الترجمة الأُخرى أجزاء محدّدة من الكتاب؛ نذكر على سبيل المثال طبعات البطريرك دبّاس (كتاب النبوءات، كتاب المزامير)، بالإضافة إلى أعمال حديثة تعود إلى القرن العشرين (ترجمات فتح الله عرمان، وهبة الله صرّوف). حتّى هذا التاريخ، ما تزال المكتبة الأنطاكيّة تفتقر إلى ترجمة كاملة للكتاب المقدّس.